الشّباب الجامعي وإشكالية استثمار وقت الفراغ

د. فرفار جمال

جامعة معسكر –الجزائر

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز الأهمية التّي يكتسبها الوقت في حياة الشّباب الجامعي الذّي يعاني من مشاكل كثيرة خلال ممارسته لأوقات الفراغ في الحياة الاجتماعية والعلمية داخل الوسـط الجامعـي أو الأسري، ومحاولة تحديد الطرق والأساليب التّي يمارس بها هؤلاء الشّباب نشاطاتهم المختلفة من خلال تبني قيم جديدة التّي تعبر في حد ذاتها عن ثقافة شبابية تختلف عن تلك الثقافة السّائدة لدى الأجيال السّابقة، والسعي لإبراز الأدوار التّي تؤديها الأسرة في توجيه سلوكيات الأبناء خلال أوقاتهم الحرة ومحاولة خلق جو مناسب لممارسة النشاطات الترفيهية، مع إبراز مدى نجاح الأسرة كمؤسسة اجتماعية في إكساب هؤلاء الشّباب القيم والمعايير التّي يستطيعون من خلالها تنظيم أوقات فراغهم بشكل يتماشى مع القيم السّائدة في المجتمع.

Abstract:

This article aims to highlight the importance acquired by the time in the academic lives of young people who are suffering from many problems during the exercise of his free time in social and scientific life of the university community or family, and try to identify ways and methods practiced by these young people of different activities through the adoption of new values that reflect in itself for a youth culture different from those of the previous generations of culture, and strive to highlight the roles played by the family in guiding the behavior of children during their time free and try to create a suitable atmosphere for recreational activities, highlighting the extent of the family's success as a social institution in give these young people the values and standards that through which they can organize their leisure time in line with the prevailing values in society.

مقدمة:

يعد مفهوم وقت الفراغ وأشكال استثماره عند الشّباب عامةً والجامعي خاصةً في الوقت الراهن من بين الإشكاليات التي أثارت العديد من التساؤلات فيما يخص كيفية استغلال هذا الفراغ والصعوبات الّتي يواجهونها في ممارسة أنشطتهم المختلفة وفهم طبيعة التصورات الّتي يتبنونها حول مفهوم الوقت الحر، الذي يمكن أن يراهن الإنسان عليه ويدّعي أنّه بيده وتحت سلطته أثار اهتمام العديد من الباحثين والمفكّرين بمختلف توجّهاتهم الّنظرية وتخصّصاتهم المعرفّية في زمننا الحاضر حيث بات يشكّل إحدى المحاور الرّئيسّية في علم الاجتماع وذلك شأن الظّواهر الاجتماعّية لها جوانبها

السّلبية والإيجابّية شأنها في ذلك شأن الظّواهر الاجتماعّية الأخرى هذا من جهة، واتّصالها المباشر بحياة الأفراد والجماعات ولاسيما فئة الشّباب التّي هي من أهّم الفئات التّي يبني عليها المجتمع ركائزه ودعائمه، حيث يمثّل الطّلاب على العموم فئة عمرّية تشهد نشاطات مختلفة من التّرفيه الهاّمة جدّاً في حياتهم، أين يتّم عقد العديد من الرّوابط والعلاقات الإ نفعالّية، كما أنّ العلاقة بين الشّباب (الطّلاب وغير الطّلاب) تتشكّل بفضل تقاسم الأماكن أو النّشاطات المختلفة (Erlich, V. 2004: 136).كما لا ننسى الأدوار الّتي يؤديها الوسط الأسري في تنشئة الأبناء على كيفية الاستثمار الإيجابي للوقت الحر، ومواجهة الصعوبات التّي تقف عائقاً أمام ممارسة أنشطتهم الترويحية في المجتمع المعاصر. وللتعمق في حيثيات الموضوع وإثراءه انطلقنا من التساؤل التالي: كيف يمكن للشّباب الجامعي أن يستثمر وقت الفراغ؟ وفيما يتمثل دور الأسرة في استثمار أوقات الفراغ؟ وكيف يمكن تجاوز عائق النزعة الاستهلاكية عند الشّباب الجامعي وما مدى تأثيرها على قيم الفراغ؟

مفاهيم الدراسة:

– **الشّباب:** تجنح التعريفات السوسيولوجية إلى استخراج الخصائص المشتركة بين فئات الشّباب مؤكدةً على الفوارق الاجتماعّية بينها من حيث الانتماء الطبقي والأصول الاجتماعية، فهنالك إذن مجتمع شباب ترتسم ملامحه داخل المجتمع الشامل (Balandier, G. 1985 :87) على حد تعبير بلانديه G. Balandier. وأنّ الحديث عن الشّباب من الوجهة السوسيولوجية كمعطى اجتماعي غير متجانس ومتغير حسب المجتمعات يندرج في سياق عام يعتبر السّن معطى بيولوجياً يمكن التصرف فيه اجتماعياً (Bourdieu, P. 1984 :14). ولقد حصر بعض علماء الاجتماع في بداية السبعينات فترة الشّباب في الفئة العمرية الممتدة ما بين 15 و25 سنة. أما مصطلح الشّباب عند الباحثين العرب يتردد بين مفهومين اثنين: مفهوم الفئة العمرية classe d'âge، ومفهوم الفئة الاجتماعية catégorie sociale (Zghal, A. 1981 :276). فالشّباب في نظرهم ليس حالة طبيعية وإّنما نتاج ثقافي لوضعيات تاريخية معينة (Zghal, A. 1981 :271).

أما علماء النفس يرون أنّ مرحلة الشّباب ترتبط باكتمال البناء الدّافعي والانفعالي للفرد في ضوء استعداداته واحتياجاته الأساسية، واكتمال نمو كافة جوانب شخصيته الوجدانية والمزاجية والعقلية بشكل يمكنه من التفاعل السوي مع الآخرين في المجال الاجتماعي (فهمي، م. 2008: 87/86).

أما مفهوم **الشّباب الجامعي** يطلق على كلّ شاب يدرس بالجامعة ويقضي فيها فترة معّينة يتحصّل من خلالها على شهادة جامعّية تؤّهله للحياة العملّية، إذن هي فترة من حياة الإنسان يتمّيز فيها بمجموعة من الخصائص والصّفات تمّيزه عن الآخرين ويخضع لجملة من المعايير التّي تحدّد مزاياه كالمعيار الزّمني، فيهم الذّكور والإناث (النّوع). يختلفون فيما بينهم من خلال التّخصصات التّي يدرسونها والتّوجهات التّي يختارونها داخل الجامعة، لديهم قواسم مشتركة من خلال انتمائهم إلى نسق

تعليمي معّين واكتسابهم لثقافة مشتركة تتحدّد من خلال هذا الانتماء، كما يشغلون مكانة اجتماعيّة معّينة بحكم المستوى التّعليمي وانتمائهم للطّبقة المثّقفة في المجتمع.

– **وقت الفراغ:** يرى ديمازدييه J. Dumazedier أنّ وقت الفراغ هو مجموع الانشغالات أو الاهتمامات الّتي يمكن أن ينكبّ عليها الفرد بإرادة كبيرة. إمّا من أجل التّرويح، التسلية، أو تنمية معلوماته أو ثقافته المتجّردة ومشاركته الاجتماعيّة الإراديّة أو قدراته الإبداعيّة الحّرة بعد التّحرر (التّخلص) من التزاماته المهنّية والعائلّية والاجتماعية. ويرى أنّ هناك ثلاثة وظائف لوقت الفراغ تتمثّل الوظيفة الأولى في الاستراحة للتّخلص من التّعب، والثّانية في التّسلية والثّالثة في تنمية الشّخصية. هذه الوظائف قادرة على خلق أشكال جديدة للتّعلم الإرادي على مدار مراحل الحياة، وإنتاج سلوكيات متجّددة ومبدعة (Dumazedier, J. 1962 : 27/29). وأّنه بمثابة الوقت الاجتماعي المفضّل لدى المراهقين، والأكثر غناً بالّنشاطات المتنّوعة وفضاء واسع. فالوقت الحّر من المستبعد أن يكون ظاهرة ثانويّة، بل هو منتج لتوازنات جديدة تخصّ كلّ الفئات العمرّية في الحياة من خلال علاقاته بذاته ومع الآخرين (شكل جديد من الّرباط الاجتماعي) وفي علاقاته مع البيئة (Lelievre, C. 2002: 188).

إنّ الفراغ مصطلح يشير إلى فكرتين هما: الوقت والنشاط، فوقت الفراغ هو وقت خالي من العمل والالتزامات الأخرى، والنشاط الّذي يمارس خلال هذا الوقت يتسم هو الآخر بدرجة عالية من الشعور بالحرية النسبية، فهو إذن تجربة الفرد بالنظر إلى عدد من النشاطات الاجتماعية (علي محمد، م. 1985: 36).

–**التّرويح:** يعرف Alexander Szalai التّرويح بأّنه نشاط اختياري يحدث أثناء وقت الفراغ وأّن دوافعه الأولّية هي الّرضا والسّرور والبهجة النّاتجة عن هذا الّنشاط. أّما C. Patrushev فيعّرف التّرويح بأّنه مزاولة أيّ نشاط في وقت الفراغ سواء كان نشاطاً فرديّاً أم اجتماعيّاً وذلك بهدف إدخال السّرور على الّنفس دون توقّع وانتظار أّية مكافأة (محمد الحسن، ح. 2005: 65/64).

فضاءات وطرق استغلال وقت الفراغ عند الشّباب الجامعي:

إنّ طبيعة الأنشطة التّرويحّية التّي يمارسها الشّباب الجامعي والتّي يطمح أن يمارسها مستقبلاً تحدّدها جملة من العوامل والظّروف الموضوعّية والذّاتية، فاهتمامات المجتمع بتوفير أساليب ووسائل البرامج التّرويحية لها دور كبير في توجيه الأبناء وتحديد اتّجاهاتهم السّلوكية نحو استغلال أوقات الفراغ بالمشاركة في الّنشاطات التّرويحية المتوفّرة (هذه الأنشطة تؤّدي وظائف اجتماعّية ونفسّية وتربويّة وفسيولوجية). فاستثمار الوقت وتحديد قيمته وأهمّيته يعدّ من الأمور الضّرورية في حياتنا المعاصرة، وبصورة خاصّة لدى الشّباب الجامعي باعتبارهم أهّم الفئات العمرية التّي يعتمد عليهم تقّدم المجتمع وتطّوره (محمد الحسن، إ. 2005: 153/152).

ليس المهّم في هذه الحالة هو شعور الشّباب الجامعي بأهمّية تقسيم الوقت إلى وقت عمل ووقت فراغ، بل المهّم هو معرفة كيفّية استثمار أوقات فراغهم وأنشطة التّرويح التّي يمارسونها خلال ذلك الوقت. فمن المعروف على أنّ هناك أنشطة فراغ إيجابّية كالمطالعة والسّفر من أجل الرّاحة والاستجمام وممارسة النّشاطات الرّياضية والفنّ والهوايات العلمّية والثّقافية ومشاهدة التّلفاز والاستماع إلى الرّاديو...الخ. وهناك أنشطة فراغ ذات طابع سلبّي بالنسبة للذكور كالمكوث في البيت والتسكّع في الشّوارع وارتياد المقاهي، ولعب القمار وشرب الخمر وممارسة كلّ أنواع الفساد (محمد الحسن، إ. 1986: 145). مع بروز مظاهر سلوكية جديدة تجسدت في معاكسات الشّبان للبنات عن طريق الهاتف النّقال واتخاذه كوسيلة لهدر الوقت.

وعليه يمكن القول أنّ الشّباب الجامعي في كلّ مكان يطّور ثقافة خاصّة به تعكس اهتماماته وطموحاته داخل بيئته حيث أنّ تجّمع الشّباب في جماعات أو مراكز معّينة يؤدّي إلى خلق وبروز نوع من الوعي الجمعي ونمط ثقافي خاصّ بهم وهنا يقول دافيز: " يبدو أنّ الشّباب أصبح يكّون جيلاً بذاته له وعي وله أسلوب حياة متميّزة" (أحمد رشوان، ح. 2005، 184)، ولقد رأينا فيما سبق أنّ أسلوب الحياة في المجتمع يمثّل الثّقافة حيث أنّ هذا الأسلوب الحياتي الخاصّ بفئة الشّباب الجامعي هو ما يطلق عليه الثّقافة الفرعية الّتي تنشأ في أماكن مختلفة انطلاقاً من أوقات الفراغ وأساليب ملئها "وهنا يمكن تصّور الثّقافة الفرعّية في ضوء متغّيرات السّن والجيل والطّبقة والتّي يندرج تحتها كلّ من هم دون الثّلاثين سنة من العمر في جميع الطّبقات". حيث أنّها تشتمل على أساليب حياة مختلفة وتصّورات للذّات متنّوعة وأنساق وقيم وأنماط للسّلوك أكثر تميّزاً وعلى ذلك فمصطلح الثّقافة الفرعّية للشّباب "يشير إلى مجموعة من النّاس صغار السّن ولديهم طريقة في الحياة تخصّ مواقفهم وقيمهم وسلوكهم وتختلف عن بقّية أفراد المجتمع" (أحمد رشوان، ح. 2005، 68).

وعن أنشطة الشّباب الجامعي في باب التّرفيه وقضاء وقت الفراغ سّجلنا حضور وسائل الاتّصال العصرية (الانترنت–التّلفاز– السّينما) بما تحمله من أنماط ثقافية وما تخلقه من حاجات جديدة إلى جانب الأنشطة الثّقافية التّقليدية كالمطالعة أو الظّواهر الجماهيرّية الجديدة كالرّياضة أو أنشطة ترفيهّية أخرى، والشّيء المهّم هو كيف يتعامل كلّ واحد منهم إزاء هذه الأنشطة المختلفة وعلى مستوى جميع المعطيات السوسيو– مهنية والحالة المدنّية. وعليه، فإنّ الاختيارات الجمالّية الواضحة تتشكّل بالفعل أحياناً بالمقابل على اختيارات الجماعات المتقاربة داخل المحيط الاجتماعي (Bourdieu, P. 1979 :64).

إنّ العديد من الشّباب الجامعي يستثمرون أوقات فراغهم في حياتهم العادّية في مقاهي الأنترنت والولوج إلى مواقع التّواصل الاجتماعي المختلفة (مثل face Book...) وتبادل أطراف الحديث لساعات مطّولة في مواضيع مختلفة إلى درجة نسيان أنّ لديهم أهل وأصدقاء يجب التّواصل معهم بشكل مباشر (وجهاً لوجه) ومعرفة ماذا يحدث معهم. إضافةً إلى الاستماع لمختلف أنواع الموسيقى

كالرّاي، والرّاب Rap، وطرق الرقص الغريبة..التّي استحوذت على تفكيرهم وأثّرت على سلوكياتهم من خلال تقليدهم لكلّ شيء كطريقة اللّباس و تسريحات الشعر وأساليب التخاطب الجديدة. كما لا ننسى أنّ هناك فئات شبانّية تستهويها المشاهدة التّلفزيونية لمختلف البرامج التّي تطرحها مختلف القنوات الفضائّية العربّية والغربّية كبرنامج ستار أكاديمي..، التّي أخذت حيزاً كبيراً في حياتهم وبالأخصّ الفتيات اللّواتي أصبحن شغوفات بهذه البرامج إلى درجة تقليد كلّ ما يبثّ ويعرض. الأمر الذّي انعكس سلباً على التزاماتهم الاجتماعية داخل الأسرة. إذ أصبح هؤلاء الشّباب يعيشون في عالم خاصّ بهم يختلف عن تلك العوالم التّي كانت موجودة لدى الأجيال السّابقة. وعليه، يمكن القول في هذا الصّدد أنّ وقت الفراغ الحديث لم يفقد كلّ خصائص الاحتفالات التّقليدية، إلاّ أنّه أدركها نوع من التّغيير أو التّعديل في بعض منها فيما يخصّ معناها الحقيقي. كما يعتبر التلفزيون من الوسائل السّمعية البصرّية التّي تتميّز بسهولة الوصول إلى عقول الأفراد دون عناء الانتقال من مكان إلى مكان آخر ممّا يوفّر الجهد والوقت إذ أصبح في الوقت الرّاهن من الضّروريات العصرية التّي لا غنى عنها، كمابتعتبرامجه التّي تتنوّع بين التّعليم والتّربية والتّسلية والتّرفيه وسرعة إيصال المعلومات التّي تلّبي حاجات الفرد وتطلّعاته، وسيلة فعّالة للتّأثير على سلوك المشاهدين، وخاصّة الشّباب باعتبارهم في إطار المراحل الأولى لعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة التّي يبني فيها الإنسان مفاهيمه ومعاييره وتصوّراته وقيمه الاجتماعية، حيث يلعب التّلفزيون دوراً أساسّياً في تكوينها نتيجة لتقصير أو إهمال الآباء وذلك من خلال البرامج التّي تقوم بتمرير إيديولوجّيات وقيم العولمة الثّقافية عن طريق التّرويج لثقافة محدّدة أو نمط عيش معيّن، تسعى جهات أو أطراف معيّنة لترويجها وجذب الشّباب الجامعي نحوها لتبني أفكارها.ويكون التّأثير على هذه الفئة مباشراً نظراً لهشاشة أفكارها وضعف وسائل النقد لديها والاندفاعّية التّي تتميّز بها وبذلك يكون لهذه الوسيلة أثران أو وجهان، وجه إيجابي يتمثّل في تنمية معارف الفرد العلميّة والثّقافية وترسيخ عادات وتقاليد المجتمع وتراثه الثّقافي وتنمية سرعة بديهة وغرس روح المسؤولّية لديهم، ووجه سلبي يتمثّل في تصديق وتقليد كلّ ما هو معروض على الشّاشة بغضّ الّنظر عن السّلبيات والايجابّيات واكتساب قيم دخيلة عن الثّقافة المحلّية والتّصرفات المنحرفة كالعنف والانحرافات السّلوكية والأخلاقية، وقد قام عالم الاجتماع الفرنسي "بيار بورديو"بدراسة حول التّلفزيون وأثره على أفراد المجتمع حيث خلصت دراسته التّي تبنّاها في نظرّيته، أنّ التّلفزيون يعتبر وسيلة من وسائل التّأثير غير المباشر يقوم الّنظام الحاكم عبرها بتمرير أيديولوجيته وتوجّهاته السّياسية إلى عقول المواطنين بهدف إعادة إنتاج أفكاره واستمرارّيتها وبالتّالي بقاء الطّبقة أو الّنخبة السياسية الحاكمة مهيمنة على جميع الأنساق الاجتماعّية والسياسية والاقتصادية والثّقافية في المجتمع (زكريا عبد العزيز، م. 2002: 26/20). وعليه يمكن القول أنّ التّلفزيون يحتل الصّدارة في كلّ الأنشطة الممارسة في حياة الشّباب الجامعي.أمّا الأنترنت احتلّت نصيباً أوفر من الأنشطة التّرفيهية الممارسة من قبل هذه الشريحة الاجتماعية أثناء أوقات الفراغ، حيث تعدّ بوّابة لعالم جديد لن تستطيع أن تعلم

أين سيأخذك بالتّحديد، فبواسطته يمكنك أن تعرف كلّ شيء دون أن تكون هناك مخاوف من كونك وحيداً، بل هناك دائماً شخص موجود في مكان ما يمكنك الالتقاء به. هذا الفضاء الذّي استهوى فكر الشّباب الجامعي من خلال مؤثّرات الصّورة والصّدوت وسهولة الولوج إلى عوالم افتراضيّة مختلفة دون قيود إذ أتاحت لهم إمكانيّة إقامة علاقات جديدة والدّخول في حوارات مباشرة مع الآخرين من مناطق متعدّدة من العالم.

كما أظهرت العديد من الدّراسات أنّ المجموعة التّي تغوص في عالم الأنترنت تعاني من مشاكل عدم اتّزان الشّخصية ووجود مشاكل شتّى تغزو حياتهم الواقعيّة، فلذا يعتبر الفضاء المعلوماتي هو ملاذهم الوحيد للهروب من الواقع ومشاكله التّي لا يمكن أن يعبّر عنها إلاّ في عالم الأنترنت التّي تعتبر أرضاً ملائمة لتحقيق أحلامهم عليها دون الحاجة إلى توافر الإمكانيات الماديّة والمعنويّة التّي تتطلّبها حياتنا (بشير العباجي، ع. 2006: 66/65).كما أصبح استخدام الكمبيوتر في المنازل أكثر جاذبيّة لكلّ من الأطفال والبالغين، ولم يعد الأمر يقتصر على الجلوس أمام الكمبيوتر في أوقات الفراغ كما كان يزعم البعض، بل أصبح الجلوس أمام الكمبيوتر لفترات طويلة وممارسة ألعابه سمة أساسيّة في حياتهم ممّا جعل البعض منهم يتّسمون بالعزلة والانفراد. (علي قاسم، ر. 2009: 70/69). وما يجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ هذا الفضاء الأنترنتي لا يقتصر فقط على الذّكور بل يتعدّى الأمر ذلك إلى العنصر النّسوي الذّي أصبح جزءاً من هذا الواقع الجديد الذّي فرضته تكنولوجيا الإعلام من خلال الممارسات اليوميّة للأنترنت نظراً لتعدّد مصادر المعلومات الهامّة التّي يحتويها هذا الفضاء.

أما فيما يخص الرياضة الّتي تعتبر وسيلة ترفيه جد هامة في حياة الشّباب لا يمكن الاستغناء عنها لما لها من أدوار في تنمية الشخصية وقتل الروتين الممل الّذي يعايشه أغلب الشّبان في حياتهم اليومية، ولذلك ينظر إلى الرياضة على أنّها علاج ومدرسة للحياة والمواطنة (Kerjean, A. 2000 : 90). وعلى هذا الأساس ترتبط الرياضة ارتباطاً وثيقاً بالقيم السّائدة في مجتمعنا الحديث هذا فضلاً عن أنّ هناك شواهد كافية بذلك على الدّور الذّي تقوم به التّربية الرياضية كوسيلة من وسائل الضّبط الاجتماعي، ويبدو ذلك واضحاً في الدّور الهامّ الذّي يلعبه تدريس التّربية الرياضية في المدارس. فمن الملاحظ أنّها تعمل على تنمية الصّفات الحميدة والطّيبة في نفوس الشّباب الجامعي، كما أنّها تنطوي على الكثير من القيم التّربوية بالنّسبة للتّلاميذ والمراهقين والشّباب على حدّ سواء. ويذهب جون هارجريفز – J. Hargreaves إلى أنّ القيم التّي تتضمّنها التّربية الرياضية تدعم بعض القيم السياسية، فالرياضة تتضمن عنصر المنافسة في المجتمع المعاصر (محمد علي، م. 1985: 128). فالواقع الذّي يعيشه الشّباب الجامعي داخل الجامعة يعكس تذبذب ونقص هذه النّشاطات الرّياضية إلاّ باستثناء بعض الدّورات الرّياضية التّي تقام هنا وهناك في بعض الأحياء الجامعيّة التّي تكون تحت إشراف وتنظيم التّنظيمات الطّلابية المختلفة، ومردّ هذا النّقص يعود لعدم اهتمام وضعف

الإقبال على ممارسة الرياضة بحجّة نقص الإمكانيات والقاعات الخاصّة بالأنشطة الرياضية من جهة، وعدم توفّر الوقت الكافي واللاّزم لممارسة الرّياضة، في حين نجد أنّ الدول المتقدمة تستثمر بشكل كبير في الرياضة من خلال توفير كل الوسائل الضرورية وتهيئة الشروط اللازمة لتكوين الرياضيين ذوي الكفاءات العالية وتمثيلهم لبلدانهم في المحافل العالمية في مختلف المنافسات الرياضية.

أمّا فيما يتعلّق بالمطالعة كنشاط ترفيهي وضروري للشّباب الجامعي يقول فيه روش – Rouche على أنّ للقراءة أهمّيّة عظمى في تحويل المجتمع وفي تعبير أفكار القارئ واتّجاهاته، رغم أنّ تأثير القراءة صار أضعف بكثير ممّا كان عليه في الماضي وذلك أنّ كلّ عصر كان يتميّز بكتّابه وكتبه" (شحاتة، ح. 1986: 29). فالقراءة بالنّسبة للفرد تعدّ عمليّة دائمة يزاولها داخل المدرسة وخارجها وبهذا تمتاز عن سائر المواد الدراسية، ولعلّها أعظم ما لدى الإنسان من مهارات وهي أساس كلّ عمليّة تعليميّة، ومفتاح لجميع المواد الدّراسية وهي من الوسائل التّي تدعو إلى التّقارب والتّفاهم بين عناصر المجتمع ولها أهمّيتها في الانتقال الثّقافي وفي عمليّة التّكيف الاجتماعي (عبدالله لافي، س. 2006: 13). إذ تساهم في بناء شخصية الفرد واكتساب المعرفة، وسيلة من وسائل الاتّصال بين الأفراد والشّعوب، فهي تصل الإنسان بغيره من النّاس ممّن تفصلهم عنهم المسافات المكانية والزّمانية، والارتقاء بمستوى التّعبير عنالأفكار، فهي تثري حصيلة الإنسان اللّغوية وتمكّنه من التّعبير عمّا يجول في خاطره، وتساهم في تكوين أحكام موضوعيّة صادرة عن فهم واقتناع (عبابدة، ح. 2002: 15). هذا من جهة، ومن جهة أخرى تساعد عمليّة المطالعة الفرد في الإعداد الأكاديمي فعن طريقها يتمكّن التّلميذ أو المتعلّم من التّحصيل العلمي الذّي يساعده على النّجاح وإتقان المعرفة داخل المدرسة. وعن طريق القراءة يتمكّن الطّالب الجامعي حلّ الكثير من المشكلات العلميّة التّي تؤهّله للنّجاح والقراءة أداة العالم في الاستزادة من المعرفة، وفي أن يضيف إلى حصيلته الثّقافية في كلّ يوم شيئاً جديداً، كما تساعد القراءة الشّباب على التّوافق الشّخصي والاجتماعي. فكلّ جيل من الأجيال ومعايير السّلوك المرغوب فيه، والمشكلات التّي يواجهها الشّباب قد تكون مشكلات جسميّة أو انفعالّية أو معرفّية تتطلّب منهم قدراً من المعرفة لكي يتغلّبوا عليها، ومن الضّروري الحصول على تلك المعرفة من خلال القراءة(علي عيسى سعد، م. 2006: 85).

إنّ ما يمكن ملاحظته على نشاط المطالعة أنّه يكتسي قيم معّينة ترتبط بالظّروف الدّراسية المحيطة بالشّباب الجامعي، وفي ظلّ التّغيرات الرّاهنة أصبحت المطالعة تقتصر فقط على إجراء البحوث المقّدمة لهم والواجب إنجازها في الوقت المحدّد، الأمر الذّي يفرض عليهم التّوجه واللّجوء إلى المكتبات الموجودة على مستوى الجامعة أو خارجها وتفحص المراجع التّي تتناسب مع طبيعة بحوثهم أو مذكّرات التّخرج. وحين انتهاء هذه البحوث لا يولون أهمّيّة كبيرة لمطالعة في أوقات فراغهم التّي صارت طويلة جدّاً إلى درجة المعاناة والملل من الحياة الرّوتينّية داخل الفضاء الجامعي دون الاكتراث لتنظيم وقت الفراغ وتخصيص جزء منه للمطالعة. وعليه، يمكن القول أنّ المطالعة عند الشّباب

الجامعي أصبحت مرتبطة بمصلحتهم الخاصّة والحا جة الملحّة، أي بمعنى مطالعة ظرفّية بغية تحقيق غرض أو هدف معّين، وليس المطالعة من أجل التّثقف وزيادة المعرفة، ولم يعد للكتاب قيمة في حياتهم إلاّ باستثناء حالات قليلة جدّاً ممّن يعطون أهمّية قصوى لهذا النّوع من الممارسات الثّقافية، إذ أصبح شباب اليوم يلجأ إل ى أسهل الطّرق والوسائل للحصول على المعلومات خاصّة في ظلّ تطّور تكنولوجيا الإعلام التّي سهّ لت عليهم ذلك، حيث غيّر العصر الرّقمي أسلوب إنتاج الكتب من حيث خلقها وصناعتها، فبعدما كان الكتاب في الماضي يتمّيز بطابع خاصّ من حيث المواد المستخدمة في إنتاجه والقيمة التّي يكتسبها لدى القارئ، ظهر الكتاب الرّقمي الذّي غيّر كلّ شيء(Robin, C. 2011:11).

إنّ بروز هذه العوامل الجديدة خلقت احتياجات جديدة، ممارسات جديدة وعلاقات اجتماعّية جديدة، فهذه الأوعية موجودة بكثرة في محيط الشّباب الجامعي، حيث أصبحوا يتفطّنون للإمكانّيات الجديدة التّي توفّرها لهم هذه الوسائل، كما أصبحوا يصّممون نشاطاتهم التّرفيهية والبيداغوجّية اعتماداً وانطلاقاً من هذه الوسائل. فمن خلال هذه الحوامل الجديدة، يتعلّم الأطفال والشّباب إعادة اكتشاف القراءة كنشاط، أكثر من هذا، يسمح لهم بإعادة تعريف القراءة، إعادة تعريفها بخلاف الأولياء والمرّبين الذّين تشّبعوا بوعاء الكتاب، ولا يطالبون بالكتاب ولا التّرفيه بواسطته، إذ يمكن حثّهم على المطالعة عن طريق القنوات التّقليدّية المعتادة (المدرسة، الأسرة، المحيط الثّقافي، وجود المكتبات)، كما يمكنهم دوماً النّخول في دينا ميكّية القراءة حسب مستواهم، وفعالّيتهم، وأذواقهم، وحساسّيتهم أي مصالحهم بصفة عامّة. كما أّنه يجب الاعتراف بأّنه لا يوجد في الواقع الاجتماعي مساواة في القدرات على القراءة لدى الشّباب الجامعي، كما أنّ هناك جماعات اجتماعّية تتوّجه أكثر من غيرها نحو القراءة. فالمطّالبة بمجهودات ووسائل وديمقراطية أكثر لممارسة القراءة عند الشّباب الجامعي، يعني ذلك أّننا نتجاهل هذا الواقع السوسيولوجي، أكثر من هذا عندما نعتقد أنّ الشّباب الجامعي يطالب بهذه "الدمقرطة" ويندمجون في أحادية الرّؤية للوصول إلى الممارسة الثّقافية بواسطة نشاط ممارسة القراءة والوعاء الوحيد: هو الكتاب. من الواضح أّنه لا يمكن أن تكون رغبة متساوية والقدرة نفسها على القراءة عند الشّباب. فصورة الأّم والأب وهم يمارسون القراءة داخل الفضاء العائلي أمام ومع الأبناء غير واردة بصفة واسعة عند الفئات الاجتماعّية، ماعدا الفئات المثقفة. ومن جهة أخرى "الكتاب" و"المكتوب"ليس لهما مكان في التّبادل والاتّصال داخل مجتمع شفهي، وخاصّة في الأوساط الشّعبية التّي يصعب عليها ممارسة القراءة بواسطة الكتاب أو حتّى نموّها رغم رمزّية الكتاب في مخيال هذه الفئات الاجتماعّية، ينظر للكتاب كوسيلة للمعرفة للحصول على شهادة، والوصول إلى مرتبة اجتماعّية...الخ. و من جهة أخرى، تواجد خطاب ثاني نتاج لظروف وسياق مالي ينظر للكتاب كوسيلة لا يرتزق منها وليس وسيلة مثالّية للحصول على عمل أو وضعّية اجتماعّية. فالأزمة الرّاهنة تحول دون تحقيق رغبات وطموحات الفئا ت الاجتماعّية من خلال المدرسة، المعرفة، الدّيبلوم. أّما فيما

يخصّ فضاءات عرض القراءة وخاصّة منها المكتبات التّجارية، فضاءات مخصّصة للمطّالعين، إلاّ أنّها تحمل صورة مشوّشة بحكمها فضاءً تجاريّاً وثقافيّاً معاً لم يساعد المحيط الاجتماعي، الاقتصادي والثّقافي على إزالة هذه الصّورة المشوّشة وذلك بسبب ضياع قيمة الكتاب والقراءة كأداة للتّرفيه الاجتماعي، وصعوبة الوصول والحصول عليهما ماليّاً ومادّياً (عبد الإله، ع. 2008: 18/14).

كما أصبحت فضاءات المطالعة فضاءات للتّعارف وعقد الجلسات الحميميّة بين الشّباب الجامعي ومصدراً للفوضى والضّوضاء المنتشرة هنا وهناك داخل أجواء هذه المكتبات. أمّا بالنسبة للمقهى كفضاء متمّم يلتقي فيه عامّة النّاس وبالأخصّ فئة شباب الجامعة، يعدّ مكاناً من الأماكن التّي يقضي فيها هؤلاء الشّباب بعض أوقات فراغهم، فهم يفضلون ويحبذون تمضية أوقاتهم الحرّة في المقاهي والجلوس لساعات طويلة صباحاً ومساءاً مع الأصدقاء، حيث يتّم من خلال هذه الجلسات التّطرق إلى مواضيع مختلفة قد تواجههم في الحياة اليوميّة وتبادل الآراء المختلفة، إضافة إلى ممارسة لعبة الدومينو في المقاهي والغرف على مستوى الأحياء الجامعيّة من أجل تمضية الوقت والولوج في ممارسات روتينية لا مخرج منها داخل فضاء الأسرة والجامعة. وباعتبار هذا الفضاء (المقهى) كفضاء مقدّس لدى العديد من الشّباب الجامعي يتّم فيه تبادل أطراف الحديث وطرح الانشغالات والهموم الاجتماعيّة المعيشة يوميّاً والحديث عن التّجارب والمشاكل العاطفيّة لساعات طويلة دون ملل. فكلّ طرف يسرد للآخر قصّته عن تجاربه المختلفة وحياته الخاصّة، ومحاولة التّعبير عن ما يجول في الخاطر. إذن، يمكن القول أنّ المقهى عبارة عن مكان حيادي حيث يجد كلّ واحد مكانه، الشّاب، العجوز، الفقير أو الغنّي، الغريب أو ابن البلد، عكس الجماعة التّي تخصّص لأفراد العشيرة أو القرية فقط، إذ تختلف مناقشات المقهى عن تلك التّي تجري في داخل الجماعة.فالمناقشة التّقليدية هي نوع من التّبادل المعتاد، المنظّم من حيث الشّكل والمضمون بمبادئ الآداب والأخلاق التّي لا تسمح بالتّطرق لمواضيع غير جدّية ذات أصل مدني والتّي لا تصلح إلاّ للتّرثرة في المقاهي(بوتفنوشت، م. 1984: 224). إلاّ أنّه في الوقت الرّاهن لم يعد هذا الفضاء (المقهى) حكراً فقط على العنصر الذّكوري بل أصبح مكاناً يرتاده العنصر النّسوي أيضاً وبالأخص في المدن الكبرى، الأمر الذّي أدّى إلى تغيّر القيم التّي كانت سائدة من قبل وحلّت محلّها قيم جديدة تتماشى مع الذّهنيات التّي أفرزتها مرحلة ما بعد الحداثة.في حين نجد من لهم رأي آخر فيما يتعلّق بأماكن قضاء أوقات الفراغ والطّرق التّي يتّم بها، حيث ينتهجون أساليب أخرى غير التّي تطرّقنا إليها كالتّسكع في الشّوارع ومعاكسة الفتيات، والدّخول في علاقات عاطفيّة لتمضية الوقت وتفضيل اللّقاء بالطّرف الآخر أو محادثته عن طريق الهاتف النّقال لساعات طويلة دون كلل وملل. وعليه، يمكن القول في الأخير على أنّه عن طريق هذه الممارسات الثّقافية وممارسة التّسلية، فإنّ عالم الشّباب هو إذن عالم منسجم اجتماعيّاً أكثر منه لدى عالم الكبار. إنّه يختلف عنه بوضوح، باختصار يبدو جلّياً " أنّه توجد ثقافة شابّة " Cavalli, A. 1993 : 38) مستوحاة من الواقع الاجتماعي والثّقافي للشّباب. والشّبيبة هي إذن هذا الوجه

الجديد للحياة يرسّخ مرّ ة بالعمل الطّويل والصّعب ومرّة أخرى يكون مؤلم، إلى جانب تحديد الهوّية والقانون الذّي يجب أن يناسبه وبالتّنمية الكاملة لاجتماعيّة الجماعة العمريّة والمناهج التّي تشترك فيها، بغية التّمكن من تحديد إستراتيجية في الميدان التّرفيهي كفيلة بتحقيق أهداف ممارسة المواطنة.

إسهامات البيئة الأسريّة في تنظيم وقت الفراغ:

تمثّل العلاقة بين الفراغ ونظام الأسرة موضوعاً هامّاً من موضوعات بحوث وقت الفراغ، ويرجع ذلك إلى الدّور الذّي تلعبه الأسرة في تشكيل سلوكنا خلال وقت الفراغ، وعلى الرّغم من أنّ وقت الفراغ الذّي نقضيه في محيط الأسرة قد شهد تغيّراً واضحاً على مرّ التّاريخ، وعلى الرّغم أيضاً من ظهور فضاءات جديدة لتمضية وقت الفراغ تشكل منافساً خطيراً للأسرة كوسائل الإعلام الحديثة، الّتي أفرزت ذهنيات جديدة عند الشّباب من خلال رفضهم لقضاء وقت فراغهم داخل الأسرةكما تختلف الطّبقات الاجتماعيّة فيما يتّصل بالدّور الذّي تلعبه الأسرة في أنشطة الفراغ الخاصة بأعضائها، وكذلك في مستوى ونوعيّة هذه الأنشطة التّي تمارس في المنزل. إلاّ أنّ ستوزل (J. Stozel) يسترجع التّحليلات الكلاسيكيّة لأوجبرن– Ogburn فيما يخصّ وظائف العائلة، حيث يشير بالضّبط إلى أنّه بالرّغم من بعض مظاهر التّغيير، فإنّ الوظيفة التّرفيهية للعائلة في توسّع مستمر وتتّجه شيئاً فشيئاً نحو تعديل نمط الأنشطة، والأدوار والقيم العائليّة (Dumazedier, J. 1962 : 100). فمن المؤكّد أنّ وقت الفراغ الجماعي داخل الأسرة يمكن أن يلعب دوراً هامّاً في علاج كثير من مظاهر أو نتائج التّفكك الأسري، بحيث تكون الأنشطة التّرفيهية والتّرويحية في محيط الأسرة عاملاً هامّاً من عوامل دعم الصّلة بين الأبوين وأطفالهم، ووسيلة من وسائل استمرار هذه الصّلة، ويتحقّق ذلك كلّه من خلال دعم ما يمكن تسميته "بالوظيفة الاجتماعية والثّقافية لمنزل الأسرة"، فالمنزل هو المكان الذّي يقضي فيه أفراد الأسرة وقتهم في أنشطة معيّنة مثل مشاهدة التّلفزيون، والقراءة، وممارسة بعض الهوايات، والرّاحة والاستجمام، وفي كنف المنزل تحدث معظم أنماط الاتّصال الاجتماعي للأسرة بالأصدقاء والأقارب. ولقد أثار ماركس كابلان تساؤلاً هامّاً حول إمكان اعتبار الألفة الاجتماعيّة Sociabilité إحدى نماذج قضاء وقت الفراغ، كما تساءل أيضاً عن الصّور المختلفة للألفة الاجتماعية في محيط الأسرة. وهو يعرّف الألفة الاجتماعية بأنّها ذلك النّوع من العلاقات الاجتماعيّة الذّي يقوم أساساً على الرّغبة في صحبة الآخرين والاستمتاع بالوقت الذّي نقضيه معهم. وتهيئ الألفة الاجتماعية جوّاً خاصّاً داخل الأسرة، يشعر فيه الأب والأم والأبناء وأصدقائهم بالاستقرار النّفسي والمتعة الشّخصية والإشباع الاجتماعي، وهذه كلّها عوامل هامّة في دعم الكيان الأسري، وإتمام عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة للأبناء في جوّ يسوده التّعاطف والإحساس بالانتماء، وتشكّل أنماط الاتّصال الرّمزي عاملاً أساسيّاً في تحقيق هذه الرّابطة الوجدانيّة التّي تتّسم بها الألفة الاجتماعيّة (محمد علي، م. 1985: 183/179). وتبدو الأهميّة بين الأسرة ووقت الفراغ واضحة حيث تبرز أهميّة الدّور التّربوي للأسرة، ففي الأسرة ينمو سلوك الأفراد ويتعلّم الأبناء القيم والاتّجاهات الأساسيّة ولاشكّ، أنّ

الّنشاط التّرويحي يكاد يكون من أهّم الأنشطة – خاصّة في مرحلة الطّفولة – وأكثرها حيويّة في تكوين الشّخصية الاجتماعية، ففي إطار الأسرة يتعلّم الأطفال السّلوك المرغوب والمقبول اجتماعيّاً ويتعلّمون أيضاً متى وكيف ومع من يلعبون وماذا يسلكون في موقف أو آخر، وقد يفرض بعض الآباء أنماط معّينة في توجيه أنشطة الأبناء لقضاء أوقات فراغهم، إلاّ أنّ هذا الاّتجاه لا يلقى من الأبناء الاستجابة وذلك لرغبة الأبناء في تنمية خبراتهم بأنفسهم، ففي المراحل المتقّدمة من عمر الأبناء يبدو اتّجاههم نحو تطوير خيرات الفراغ داخل جماعاتهم الخاصّة ويكونون ما يطلق عليه ثقافة الشّباب كتعبير عن الأساليب السّلوكية المقبولة من مجتمع الشّباب، وعلى أّية حال، فإنّ الأسرة الحديثة نظراً لعدم الاستقرار المكاني والمهني والتّوترات التّي تقابلها، كلّ هذا أّدى إلى ضعف مستوى الاتّصال الاجتماعي بين أفراد الأسرة وعلى الأخصّ بين الوالدين والأبناء (محمد بيومي، أ. 2008: 195).

كما أّدت التّغيرات لثّقافية في المجتمع إلى اختلال في كثير من القيم والمفاهيم الاجتماعّية التّي تسود الفرد والأسرة، فبعد أن كان الشّباب الجامعي يتشّرب ثقافته من قنوات شرعّية في الأسرة والمدرسة، أصبح يتشّربها من قنوات غربّية، وأقران السّوء، ممّا أوجد شرخاً عميقاً في العلاقات ا لأسرّية، وعلى الأّم يقع عبء ليس بالسّهل في ظلّ هذه المتغّيرات الاجتماعّية التّي تحيط بنا، وبالتّالي يجب أن تدرك الحجم الكامل لمسؤولّياتها في مراقبة أّي خلل في سلوكّيات أبنائها، والعمل على إيجاد التّوازن الّنفسي لجميع أفراد الأسرة فهناك أسباب كثيرة تحيط بنا، وعوامل متعّددة تلعب دوراً كبيراً في تغيير سلوك أبنائنا (الزواوي، خ. 2007: 39)،كتراجع أدوار الأسرة وغياب رقابة الوالدين نتيجة انهماكهما في العمل خارج البيت، وكذلك بسبب تغّير طبيعة وشكل الأسرة في الوسط الحضري نتيجة التّغير الاجتماعي الّذي أحدثته الثّورة التّكنولوجية الأمر الّذي أّدى إلى غياب الأسرة في وضع استراتيجّيات وآليات تتحكّم في تنظّم مسألة التّرفيه وأوقات الفراغ لدى الشّباب الجامعي، ونتيجة للأوضاع المادّية والظّروف العائلّية التّي يمّر بها الشّباب الجامعي أّدت بهم إلى الهروب من هذا الواقع الأسري بحثاً عن مواقع ووسائط أخرى لتمضية أوقات الفراغ ومحاولة التّعبير عن ما يجول بخاطرهم وتحقيق ذواتهم خارج الإطار الأسري الّذي لا يسمح بذلك. وعليه يمكن القول أّن تغّير شكل الأسرة أثّر بشكل كبير على تغّير طبيعة التّنشئة الاجتماعّية التّي تتضّمن عملّية اكتساب الفرد لثقافة مجتمعه ولغته والمعاني والّرموز والقيم التّي تحكم سلوكه وتوقّعات سلوك الغير والتّنبؤ باستجابات الآخرين وإيجابّية التّفاعل معهم (الفرح، و. 2007: 15). وأصبحت هذه الأسرة تعاني العديد من المشاكل والصّراعات الّداخلية بين الأفراد الّذين ينتمون إليها وبين الأجيال في نفس الوقت، حيث نجد أّن للخلافات الأسرّية أثراً بالغاً في وجود المشكلة، وعلينا أن نوفّر لهم ما عجزت الأسرة عن إشباع حاجاتهم الأساسّية: الجسمانّية والّنفسية والثّقافية والاجتماعّية كنتاج لواقع اجتماعي اقتصادي تعايشه الأسرة في إطار ظروف اجتماعّية أشمل دفعت الشّاب كلّ الوقت بعيداً عن رعاية وحماية أسرته، وحتّى يمارس أنواعاً من الأنشطة لإشباع حاجاته من أجل البقاء مع الآخرين والتّكيف معهم فلا

يتعرّض للخطر والحرمان والاستغلال (الزواوي، خ. 2007: 45). وعلى هذا الأساس نستنتج أنّ الأسرة فقدت الكثير من وظائفها التّي كانت تتميّز بها في ظلّ الظّروف الرّاهنة والتّحديات الصّعبة التّي تواجهها.

وقت الفراغ وقيم النزعة الاستهلاكيّة عند الشّباب:

لقد تناول إيريك فروم–Erich Fromm التعبيرات الثقافية في خبرات الفراغ تناولاً متعمقاً إلى حد كبير من خلال تطوير فكرة جديدة تتمثل في تطبيق النزعة الاستهلاكية على استخدامات الفراغ، فهو يقول:« إنّ هناك نوعاً من اللّوع الاستهلاكي يكون الهدف الأساسي منه دائماً الحاجة إلى التّقبل وابتلاع كلّ جديد في كلّ وقت، وفي تلك الحياة بفم مفتوح دائماً وفي كلّ مكان» .ويمثّل هذا الاتّجاه في رأي فروم نوعاً من أنواع الاغتراب الذّي يتمثّل في تبّني نزعة استهلاكيّة دائماً، لا تتمثّل فحسب في استهلاك السّلع، وإنّما في استخدام وقت الفراغ أيضاً . فإذا لم يعمل الإنسان ولديه تصوّر أصيل عن الشّيء الذّي يؤديه، وإذا اتّجه نحو الشّراء والاستهلاك السّلعي بطريقة محرّرة عديمة الجدوى، فكيف له أن يستخدم وقت فراغه استخداماً إيجابيّاً فعّالاً، بحيث يضفي معنى محدّداً على سلوكه ونشاطه خلال هذا الوقت؟ إنّ هذا النّمط من البشر يظلّون باستمرار سلبّيين ومستهلكين ومغتربين، فهم يستهلكون كلّما يعرض عليهم من ألوان الإنتاج الثّقافي كـ الكتب والمجلاّت والصّحف، والصّور المتحرّكة والإنتاج السّينمائي... الخ، وهؤلاء النّاس لا يشعرون بأيّة حرّية للتّمتع بأوقات فراغهم، فاستغلال هذا الفراغ محكوم بما تنتجه صناعات الفراغ ، ومن ثّم تكون أمزجتهم وآرائهم واتّجاهاتهم ليست تعبيراً تلقائيّاً حرّاً، وإنّما هي استجابة لأوضاع مفروضة ومشروطة (محمد علي، م. 1985: 127/124).

إنّ المدخل الذّي يحاول أن يفهم سلوك الفراغ في ضوء الأنشطة الظّاهرة فحسب دون فحص للقيم الثّقافية التّي تبطن هذه الأنشطة يعدّ مدخلاً ناقصاً، ذلك أنّ فحص هذه القيم وإدراكها بوضوح يمكّننا من فهم المعاني الكامنة فيها، والتّي تجعلنا نعرف الأسباب التّي تدعونا إلى اعتبار نشاط معّين نشاطاً يتعلّق بالفراغ أو لا يتعلّق به، وهذا هو الموقف الذّي حاول أورين كلاب Orrin Klapp أن يلخّصه حين قال: « إنّ التّساؤل الحاسم في هذا الصّدد ليس هو ما الذّي أستطيع أن أفعله؟ ولكن ما هي حقيقة ذلك الشّيء الذّي أفعله؟ » .والمشكلة التّي يطرحها Klapp في هذا الصّدد هي مشكلة البحث عن الذّات، واكتشاف حقيقة الشّخصية الإنسانّية في هذا المجتمع الحديث الذّي انطوى على مقّومات عملت على تغيير البناء الأساسي للشّخصية وتعديله على نحو يحتاج معه إنسان هذه الحضارة إلى إعادة اكتشاف ذاته. ولا تمثّل هذه المشكلة عرضاً سيكولوجّياً فرديّاً، ولكّنها قضّية هذا المجتمع بأكمله، فمع أنّ هناك نتائج إيجابّية لذلك النّمو والتّطور التّنظيمي والتّكنولوجي والصّناعي، إلاّ أنّ ذلك لم يحدث دون تكلفة اجتماعّية وإنسانّية، فقد قلّت فرص الإبداع في العمل، واستبدل العّمال المهرة بعّمال نصف مهرة أو غير مهرة، وخضع الإنسان لقواعد التّنظيم البيروقراطي الذّي أصبح سّيداً

أكثر منه خادماً، ونقصت فرص الحرّية والتّعبير عن الذّات في العمل، ويستشعر أعضاء المنظّمات البيروقراطّية حالة من فقدان القّوة والخضوع لنظام العمل الّروتيني وما يؤّدي إليه من انتشار الملل...الخ. وهذه كلّها أعراض الاغتراب المصاحب لتقّدم الصّناعة، وفي ظلّ هذه القيم ليس أمام الإنسان إلاّ أن يبحث عن قيم بديلة، وفرص يحقّق من خلالها ذاته، ويشبع رغباته (محمد علي، م. 1985: 130/129).

إذا كان وقت الفراغ يتأثّر بأشكال الظّاهرة الاجتماعّية، فهو بذلك يتأثّر بالعادات والتّقاليد والّسياق الثّقافي والاجتماعي السّائد في المجتمع، وبالتّالي فإّنا نعيش في مجتمع الفراغ حسب "كنيث روبرتز" K. Roberts والّذي يرى "أّن الأنشطة التّي يمارسها الّناس خلال أوقاتهم الحرة تلعب دوراً هاماً في تطوير إحساسهم بكيانهم الذّاتي، ومن ثّم فإّن القيم المتصلة بالفراغ والاتجاهات المتعلقة به تعد ضرورية لتفسير سلوك الّناس في مختلف مجالات الحياة "،والواقع أّن هذا الرأي يلقي ضوءً على العلاقة بين الفراغ كنظام اجتماعي وبين الإطار القيمي الذّي يتبادل معه التأثير والتأثر. وفي هذا الإطار نستطيع القول أن الإنسان هو الكائن الوحيد الحامل لكل القيم كما أكد سانيال على أّن الثقافة هي عملية تحقيق القيم، والقيمة هي تلك العلاقة الموجودة بين الذّات والموضوع...، وعلى هذا الأساس تنظم القيم سلوك الأفراد تنظيماً رمزياً (قباري محمد، إ. دون سنة النشر: 140). ولابد أن يساير الفراغ كممارسة حضارية العادات والتقاليد والرموز الثقافية المتعارف عليها في المجتمع حتى يتسنى تحقيق التوزان الاجتماعي والتناسق بين أجزاء المجتمع، ولا يخرج عن الإطار الثقافي المألوف.

ففلسفة استثمار وقت الفراغ والترفيه الّتي كانت سائدتين من قبل تغيرت تدريجياً وجذرياً، بفعل ظهور مفاهيم جديدة غيرت من مجرى الحياة الاجتماعية كظهور فضاءات جديدة كالأنترنت، والهاتف الّنقال...الخ. وعلى هذا الأساس يمكن القول أّن كل ثقافة تنطوي على قيم تقليدية تشّكل نسيج الشّخصية الإنسانية، وتصبح جزءاً لا يتجزأ منها، وهذه القيم هي محور شخصية الفرد وكل تغير يهدد هذه القيم يصبح خطراً على كامل الشّخصية، وهذا يعكس إلى حد كبير ما يسمى بأزمة القيم. فالاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان صراع قيم متضاربة تؤدي إلى تلاشي الذّات وسقوط الهوية الفردية والاجتماعية، ويتضمن رأي "فروم" أّن أزمة القيم تكون في الصراع الّذي يقوم بين قيم المجتمع الصناعي والقيم التقليدية السائدة في إطار الحياة الثقافية وفي الإكراهات الثقافية اللاشعورية الّتي تطرح نفسها في العمق الشعوري للإنسان المعاصر، وتؤدي بالتّالي إلى هدم تماسكه النفسي وتأتي على وحدته النفسّية الثقافّية في آن واحد (وطفة أسعد، ع. 2005: 15).

خاتمة :

إن التغيرات الاجتماعّية والثقافّية المتسارعة اليوم تجعل الإنسان يعيش صدمة ثقافية قيمية بالغة الخطورة والأهمية، وهي التغيرات الّتي تضع الشباب الجامعي في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة يتوجب عليه أن يمثلها، وذلك يؤدي إلى إحداث خلل في تكيف الشباب وانهيارهم، وأّنا في مواجهة قيم

جديدة تتعلق بغزو الفضاء والأقمار الصناعية وثورات الحاسبات، وذلك كله يعوض الشّخصية لموجة متضاربة من القيم تؤدي إلى انهيار الشّخصية وإلى انفصام اجتماعي. وفي الأخير نستنتج أنّ استثمار وقت الفراغ قد يأخذ مسارات إيجابية أو سلبية في الحياة الاجتماعية للشّباب الجامعي، وأنّ مسألة استثمار الفراغ لا تخضع لاعتبارات شخصية بل ترتبط بمدى التقدم والتطور الّذي يحققه المجتمع.

*** قائمة المراجع:**

01. إحسان محمد الحسن (1986)، الفراغ ومشكلات استثماره، دراسة مقارنة في علم اجتماع الفراغ، ط01، بيروت– لبنان، دار الطليعة للنشر.

02. إحسان محمد الحسن (2005)، علم اجتماع الفراغ، ط01، عمان– الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع.

03. بوتفنوشت مصطفى (1984)، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري أحمد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

04. حسان عبابدة (2002)، تشجيع عادة القراءة لدى الأطفال، الطبعة الأولى، عمان – الأردن، دار الصفاء للنشر والتوزيع.

05. حسن شحاته (1986)، تعريف القراءة،كلية التربية، جامعة عين الشمس، القاهرة، مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر.

06. حسن عبد الحميد أحمد رشوان (2005)، علم الاجتماع الّنفسي (المجتمع والثّقافة والشّخصية)، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

07. رانيا محمد علي قاسم (2009)، تأثير الكمبيوتر على العلاقات الاجتماعيّة للطّفل، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.

08. زكريا عبد العزيز محمد(2002) التّلفزيون والقيم الاجتماعية للشّباب والمراهقين، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.

09. الزواوي خالد (2007)، الشباب والفراغ ومستقبل البحث العلمي، الإسكند رية، مؤسّسة حورس الّدولية.

10. العباجي عمر موفق بشير (2006)، الإدمان على الأنترنت، الطّبعة الأولى، عمان– الأردن، دار مجدلاوي للّنشر والتّوزيع.

11. عبد الإله عبد القادر، فعالّيات اليوم الّدراسي جوان 2008 قراءات في مفهوم القراءة– الشّباب والقراءة في الجزائر (نشرو توزيع أوعية جديدة للقراءة). تنظيم وتنسيق الدكتور عبد الإله عبد القادر، ابن النديم للنشر والتّوزيع، تنظيم مخبر الّدراسات والبحوث حول المعلومات العلمّية والتّكنولوجّية، ومشروع البحث "القراءة والتّكنولوجيا الحديثة: أوعية جديدة، ممارسات جديدة"، جامعة وهران السانيا وجامعة منتوري – قسنطينة.

12. قباري محمد إسماعيل (دون سنة النشر)، أسس البناء الاجتماعي – دراسة وظيفية تكاملية للبناء الاجتماعي، الإسكندرية، دار منشأة للمعارف.

13. لافي سعيد عبد الله (2006)، القراءة وتنمية التفكير، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب للّنشر والتّوزيع والطّباعة.

14. محمد أحمد محمد بيومي وعفاف عبد العليم ناصر (2008)علم الاجتماع العائلي دراسة التّغيرات في الأسرة العربية، دار المعرفة الجامعية.
15. محمد سيدي فهمي (2008)، العولمة والشّباب من منظور اجتماعي، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
16. محمد علي محمد (1985)، وقت الفراغ في المجتمع الحديث، بيروت – لبنان، دار النّهضة العربية.
17. مراد علي عيسى سعد(2006) الضعف في القراءة وأساليب التّعلم (النظرية –والبحوث والتّدريبات– والاختبارات)، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار الوفاء.
18. وجيه الفرح (2007) التّنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، الطبعة الأولى، الأردن، دار الوراق للنشر والتوزيع.
19 . وطفة علي أسعد (2005)، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي مقاربات نقدية في التربية والمجتمع.
20. Balandier George (1985), anthropologiques, libraire générale Française, Paris.
21. Bourdieu Pierre (1984), la jeunesse n'est qu'un mot question de sociologie, éd. Minuit, Paris.
22. Bourdieu Pierre(1979), la distinction critique sociale du jugement, les éditions de minuit, coll. Le sens commun, Paris, France.
23. Cavalli Alessandro et Galland Olivier (1993), l'allongement de la jeunesse », actes sud Poitiers, Paris.
24. Dumazedier Joffre (1962), vers une civilisation du loisirs ? Éd. De seuil, collections esprit, Paris.
25. Erlich Valérie (2004), l'identité étudiante, particularité et contrastes, comprendre les jeunes, sous la direction de François Dubet, Olivier Galland et Eric Deschavanne, revue de philosophie et de sciences sociales, n° 05, éd. PUF, Paris,.
26. Kerjean Alain (2000), les nouveaux comportements dans l'entreprise, coll. Tendances, éd.
27. Lelievre Claude et Sue Roger (2002), Joffre Dumazedier (1915-2002), revue française de pédagogie n°141, faculté des sciences humaines et sociales, Paris V, France.
28. Robin Christian (2011), les livres dans l'univers numérique, la documentation français, paris.
29. Zghal Abdelkader (1981), la jeunesse arabe vigile de la société dans la jeunesse des années 80, les presse de l'Unesco.
30 . Site : http://edusocio.net. Consulté le : 31/10/2015.